الرجيم ، وتطوف الليل كله ، حتى ايراها كلّ شخص فى الظلام كالجرثوم ، فهى فى كلّ منعطف ، وهى فى كلّ سبيل ، تنتظر دعاة الفجور وشاربى الخمور ، بل إنها لتدعوهم إليها فى أخريات الليل البهيم كما تفعل الساقطات اليوم بعد عشرة قرون فى عواصم الغرب أو العالم الجديد ، حين تخلو الطرق من السابلة أو يزول حجاب الحياء تحت الأنوار الهزيلة ، ولا يكتفى ابن الرومى بالمرأة نفسها ، وإنما يرمى بناتها بالفجور والفسق فيقول فيهن :

رَافِعاتِ الأقْدَامِ بالليل يَدْعو نَ على المحْصَنات بالتَّأثيم

فتصوّر هاته الفتيات وقد لحقن بأمهن فى سيرتهنّ ، فوقعن فى لسان الشاعر ، وجعلهنّ رافعات الأقدام كلّ الليالى ، ينتظرن ولا من مجيب فيتناولن المحْصَنات من النساء بالدعاء . لعلّ الله يجعلُ للرجال سبيلا إليهنّ . ولقد صَور الشاعر منظرَ المرأة رافعة الأقدام فى كثير من شعره ، فجعلها ترفع رجليها تحت الدجى كأنما تستغفر الله بأقدامها بدلا من الصّلاح والدعاء الطاهر . وهذا الشاعر على إقذاعه فى الصورة مبتكر فى التعبير ، يرتفع عن مستوى زملائه فى الهجاء الفنى البارع .

والبحترى أراد أن يسير فى هذا السبيل وأن يبلغ إلى الأعراض والنيل منها ، ولكنه أفحش وأسفّ ، ووقع فى تعابير البدو وكان جافًّا غليظاً تتقزز النفس من سماع ألوانه وأصواته ، فلم يكن له من الابتكار ما كان لغيره ، ولم يسلم لسانه فلم نستطع رواية شىء منه على شدة نظافته فى المديح وغيره .

وأما المتنبى فقد طرق الهجاء على أسلوب جرير والفرزدق سواءً بسواء ، فذكرَ كل شىء واستباحَ كل تعبير ، وَقلدَ البدَو فى جفاف الصّورة والتعبير ، وهجاؤه فى « ضَبَّة » مشهور مذكور فى ديوانه ، نقتطع منه ما يمكن للقارئ أن يتصفحه عابراً حين يقول فيه :

وَأرْخصُ الناس أمًّا تَبيع ألفاً بحبَّه
كلُّ الفعول سِهَامٌ لمرْيم وهىَ جُعبَه[1]

---

(١) الجعبة : إناء تجعل فيه السهام .